مقدمة

الحمد لله الملك العظيم العليّ الكبير، المنفرد بالعز والبقاء والإرادة والتدبير، وأشهد أن نبينا الأمي محمداً عبده ورسوله البشير النذير، المبعوث إلى الخلق كافة من غني وفقير، ومأمور وأمير.

أما بعد...

لطالما أحببت قراءة سير العظماء وقصصهم؛ لأن سير حياتهم كتب مفتوحة نستقي منها عصارة فكرهم وخلاصة تجاربهم، وكأنهم بقصصهم يشيرون إلى دروب النجاح التي سلكوها وإلى دروب الفشل التي أداروا لها ظهورهم أو تلك التي أوصلتهم إلى الفشل مرة ليرتقوا بمعرفتهم بها درجة في سلم النجاح الطويل.

ومما أثار دهشتي هو المصاعب الجمة التي واجهتهم والتي كادت أن تخفي ذكرهم وتمحو أثرهم، إلا أنهم عرفوا أن من استكان إلى الفشل لن يبرح مكانه، ولن يحفر اسمه بماء الذهب على صحائف التاريخ الخالدة. لذلك اعتبروا المصائب فرصاً متنكرة وأحسنوا استغلالها، واعتبروا أن الهزيمة في المعركة لا تعني خسارة الحرب، فأعادوا ترتيب أنفسهم وأخذوا زمام الأمر من جديد وكرروا المحاولة حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه فأصبحنا نذكرهم بأنهم عظماء.

ومن عجائب ما قرأته في سير هؤلاء العظام أن كثيراً منهم تخلفوا عن أقرانهم في مقاعد الدراسة، وذلك لأسباب بدت منذ الوهلة الأولى أنها قاضية على طموح هؤلاء الأشخاص ومبددة لأحلامهم وأمانيهم، إلا أن ذلك كله لم يذكر في قواميس العظماء، ولم تنطق به ألسنتهم، ولم تؤمن به عقولهم، بل آمنوا بأن النجاح لا يتطلب شروطاً شكلية وضعها البشر بل هو فكر متجدد وعمل ومثابرة لا يحده حد، ولا يمنع من الوصول إليه عاهة أو منقصة.

لذلك عزمت على معرفة هؤلاء العظام الذين تخلفوا عن مقاعد الدراسة، فبدأت البحث والتنقيب حتى وجدت العجب من كثرة العلماء والمفكرين والمخترعين والكُتّاب والأدباء والقادة ورجال الأعمال الذين تخلفوا في دراستهم الرسمية حتى أنه خُيّل إليّ أن التخلف عن الدراسة عامل من عوامل النجاح وسمة من سمات الإبداع، مما اضطرني للبحث عن عظماء أتموا تعليمهم الرسمي لأزيل هذه التخيلات.

وبعد جمعي لأسماء هؤلاء العظماء الذين تخلفوا عن مقاعد الدراسة رأيت البحث في سيرهم وقصص حياتهم؛ لأستفيد منهم أكثر وأكثر ولأحقق منهم أكبر استفادة. وقد أدى ذلك البحث لتراكم الكتب والمقالات والبحوث والأوراق والأقراص فوق مكتبتي، مما جعلني أفكر في أن أكتب هذه السير والقصص في كتاب يستفيد منه غيري كما استفدت منه.

ولعله من بداهة الأمر ألا يذكر العظماء إلا ويتصدرهم نبينا محمد ﷺ، وهو متصدر كل عظماء الدنيا وكبرائها بالضرورة، فبسببه أنقذت البشرية جمعاء من براثن الشرك إلى صفاء التوحيد، ومن ظلام الجهل إلى ضياء العلم والحضارة، وكانت بعثته ﷺ أعظم أحداث التاريخ قاطبة، وسيرته أنقى سير البشر وأصفاها، والنور الذي أتى به ملأ الدنيا عدلاً وسماحة وإخاء. ولعلنا نستشعر الحكمة الإلهية العظيمة من أن يكون سيد البشر أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولم يتلق تعليماً بالطريقة المتبعة في قومه آنذاك، فلله في ذلك حكم ولاشك، ولعل من أهمها أنه -جل جلاله- يخبرنا بأن الدنيا لا تعرف طرقاً محددة ينبغي سلكها

لخوض غمارها وتغيير مجرى تاريخها، فهذا الرسول ﷺ أمي لا يقرأ ولا يكتب، ومع ذلك ملأت دعوته الدنيا علماً وأخلاقاً وتقدماً وحضارة لم تشهدها البشرية من قبل.

إلا أنني رأيت أنه ﷺ أسمى من أن يذكر اسمه في صف غيره، وأجل قدراً من أن توضع سيرته العطرة مع سير من هم دونه، لذلك لم أضع سيرته في هذا الكتاب، محيلاً من يريد قراءتها إلى الكتب التي تناولت سيرته ﷺ بشكل صحيح غير مغالط فيه، وهي كتب معلومة مشهورة.

ولاشك أن سيرته ﷺ أروع سير البشر، وأعطر قصة عرفها التاريخ، وأجلُّ رواية تناقلت الأجيال شذاها عبر العصور، ففيها من كل معاني العظمة الشيء الكثير، وفيها من الحِكم ما ينفع البشر في الإدارة والأخلاق والسياسة والتدبير، ومن الإيمان ما يُدخل الجنة ويحمي من نار السعير.

وقد انتهجت لنفسي منهجاً في كيفية اختيار الأسماء في هذا الكتاب، فقد اعتمدت على معيارين اثنين، جعلت توفرهما في الشخص شرطاً لكي يتضمن هذا الكتاب سيرة حياته، وهذان المعياران هما:

أولاً: أن يكون الشخص تخلف عن أقرانه في المدرسة لأي سبب كان، بمعنى أن يكون من المستهجن في ذلك الوقت توقف أي شخص عن المدرسة عند حد معين كالذي توقف عنده أشخاص هذا الكتاب. فالجماعات التي تعارف عندها أن النهاية المقبولة للدراسة هي المرحلة الجامعية، يصبح عندها الشخص الذي لم يكمل تعليمه الجامعي متخلفاً عن أقرانه، وهكذا.

ثانياً: أن يكون للشخص شهرة واسعة أو آثار باقية أو أموال طائلة أكسبته تلك العظمة، بشرط أن يكون قد بنى تلك العظمة بنفسه، دون تدخل عوامل خارجية كالنسب والوراثة.

وأخيراً أحب أن أشير إلى ثلاث نقاط، أولاها أنّ تخلف أشخاص هذا الكتاب عن المدرسة لا يعني تخلفهم عن التعليم، فعلى الرغم من عدم تلقيهم

التعليم الكامل في المدرسة النظامية إلا أنهم استقوا تعليمهم من مدرسة الحياة العظيمة التي ملئت خبرة في التعليم تتجاوز عشرات الآلاف من السنين خرّجت خلالها أبطالاً وعظماء عُرفوا منذ الأزل وحتى يومنا هذا. بل ربما كانت استفادة عظماء هذا الكتاب من مدرسة الحياة أكبر بكثير من استفادة أولئك الذين أتموا تعليمهم.

وثانياً أريد أن أُؤكد على أن الهدف من هذا الكتاب ليس الدعوة إلى الخروج من المدرسة، وليس دليلاً يستدل به من يدعو إلى ذلك، بل هو توضيح لطرق النجاح التي سلكها العظماء الذين تخلفوا عن مقاعد الدراسة، وذلك لأن عدم الالتحاق بالمدرسة أو الجامعة عقبة تعتبر من أهم العقبات التي تواجه الشباب اليوم، هذا إذا لم تكن هي الأهم على الإطلاق، فإذا عرف الشباب كيف تجاوز هؤلاء العظماء تلك العقبة الكبيرة استطاعوا هم أنفسهم تجاوزها، وبدهيّاً استطاعوا تجاوز عقبات أقل أهمية وخطورة من عقبة التخلف الدراسي.

وثالثاً: إن نعتنا لأحد بأنه عظيم لا يعني -بالضرورة- موافقتنا على منهجه أو تأييداً لأعماله، بل بالطريقة التي وضعته في ركاب العظماء وبالميزة التي سجلت اسمه هناك، ولنا في رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قدوة حسنة؛ إذ يقول: "الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها".

أسأل الله -جل شأنه- أن ينفع بهذا الكتاب، ويحقق المرجو منه، وأن يكون حافزاً لكل من يقرؤه؛ ليقدم ما لديه؛ ليلحق بركب العظماء الذين تفتقرهم أمتنا هذه الأيام.

عبد الله بن صالح الجمعة

الرياض - يوم الجمعة ١٤٢٧/٢/١٠هـ